ملخّص زيارة الاربعين قراءة زهرائية بامتياز / عبد الحليم الغزّي
الحلقة ٨ : القراءة الزهرائية لزيارة الاربعين ج٤
الجمعة : ٢٥/صفر/١٤٤٦هـ - الموافق ٣٠/٨/٢٠٢٤

خُلاصةُ ما حدَّثتكُم عن هـٰذا المضمونِ في الحَلَقَة الماضية كي أُواصِلَ حديثي من حَيثُ انتهيت:
البدايةُ من هُنا: "غايةُ معرفَتنا بظاهرِ الحُسينِ وباطنه عَجزنا عن مَعرفةِ ذٰلك".
إذاً ما الَّذي تستطيعُ عُقُولُنا أن تُلامسهُ من معرفةِ مَن فَهْمِ؟!
إنَّها الآثار؛ آثارُ مقاماته الظَّاهريَّة، يُمكننا أن نتلمَّسَ آثارَ ظاهرِ الحُسَين.
إذاً نحنُ نستطيعُ أن نتلمّسَ آثارَ المقامات الحُسينيَّة الظَّاهريَّة:
مَشروعهُ العاشورائيّ العَظيم لهُ باطنٌ؛ "وباطنهُ الرّجعَةُ العَظيمة"، وهـٰذا موضوعٌ لهُ شُؤونهُ وتفاصيلهُ..
أمَّا ظاهرُ المشروعِ العاشورائيّ؛ حركَةٌ باتِّجاه اليوم الأوَّل من أيَّام اللّه، يومُ القائم.
مشروعٌ بِهـٰذه العَظَمَة أتحدَّثُ عن المشروعِ العاشورائيّ؛
- **لهُ هدفٌ قريبٌ.**
- **وهدفٌ وسيطٌ.**
- **وهدفٌ بعيدٌ.**
الهدفُ القريبُ: "فَضحُ سَقيفة اللَّعناء سقيفة بَني ساعدة"، هـٰذا الهدفُ الأوَّلُ وقد تَحقَّقَ ولا زالَ مُتحقِّقاً وسيبقىٰ مُتحقِّقاً إلىٰ يوم الخلاص.
الهدفُ الوسيط: "استمرارُ منهج الكتابِ والعترة"، يتحرَّكُ عبرَ الأئمَّة وليسَ عبرَ غَيرِهم..
الهدفُ البعيد: إنَّهُ المشروعُ المهدويُّ الأعظمُ الَّذي مادَّتهُ الأساسيَّةُ الفاعلةُ والمُحرِّكةُ لهـٰذا المشروع مضمونُ نَهضة الحُسَينِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، هـٰذا المضمونُ يُحقِّقهُ المشروعُ العاشورائيّ عبرَ صناعة الحاضنة الحُسينيّة والَّتي بدأت صِناعتُها مُنذُ عصرِ يومِ عاشوراء..
كُلُّ هـٰذا إنَّما رَسَمَهُ أبو عبد اللّه صلواتُ اللّهِ وسَلامهُ عليه وفَعَّلَهُ من خِلالِ:
أوّلاً: ترسيخُ المظلوميّة.
من أهمِّ عناصرِ توهُّجِ البرنامج الحُسينيّ عبرَ القُرون، من أهمِّ تلكَ العناصر ترسيخُ المظلوميّة، الحُسينُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه رَسَّخَ مظلوميّتهُ بإبداعٍ لا مَثيلَ لهُ، ترسيخُ المظلوميّة وتركيزُها وتشديدُ صُورِها والمحافظةُ علىٰ بَقائها حيَّةً تَكُونُ حَرارتُها لافحةً ويَتسرَّبُ وَجَعُها وآلامُها إلى كُلِّ الَّذينَ يُقاربونَها، إنَّها مظلوميّةٌ مُميزةٌ رسّخها أبو عبد اللّه..
وفي الوقتِ نَفسه فإنَّ ترسيخَ المظلوميّةِ يكشفُ وجه القباحةِ واللؤمِ والدَّناءةِ والإجرامِ عِندَ عَدوِّه، لقد كَشفَ الحُسَينُ وجه القَباحَةِ السَّقيفيّةِ، قباحةُ تلكَ الذئاب الَّتي حضَرت في أرضِ كربلاء..
فَعبر هـٰذه العناوين:
- ترسيخُ المَظلومية.
- كشفُ وجه القَباحة السَّقيفيَّة وما تَفرَّعَ عليها من القباحة الأمويَّة اللَّعينة.
- ومن بَينِ كُلِّ ذَلكَ يأتي تجييشُ العواطف.
سيدُ الشُّهداء حَوَّلَ العَواطفَ عبرَ الأجيالِ وعبرَ القُرون إلىٰ قُوَّة عَسكريَّة مُنظَّمة ضَاربة في الكَثرة، وإلَّا فماذا تقولونَ ونَحنُ في هـٰذا الزَّمنِ البعيد عن يوم عاشوراء، ونَحنُ في هـٰذا الزَّمنِ الَّذي تَشتَّتَ فيه عقلُ الإنسان، في هـٰذا الزَّمن الَّذي شَرَّقَ فينا وغَرَّب تَارةً نحنُ ندري وتارةً نحنُ لا ندري، يُشرِقُ بِنا الزَّمانُ ويُغرِبُ ونحنُ عالمونَ برضانا وتارةً لا ندري، هُوَ يُشرقُ بِنا ويُغرب من دُونِ علمنا، ومعَ ذٰلكَ فلا زالَ قَبرٌ في كربلاء يَجذبُ إليه الملايين مع كُلِّ الموانع، فَهُناكَ الأجواءُ السَّاخنةُ حرارةُ الجو، حرارةٌ لاهبةٌ، وقلَّةُ الإمكانات، وحُكومةٌ فاسدةٌ لو قُيِّضَ لها أن تقمعَ هـٰذه الجُموع لقمعتها، وأحزابٌ شيعيّةٌ دينيّةٌ قُطبيّةٌ قذرة، ومرجعيّةٌ دينيّةٌ خبيثةٌ إلى أبعد ما يُمكنُ أن يكونَ الخُبث، لو قُيِّضَ لها أن تمنعَ هـٰذه الزِ يارة لمنعتها، المَوانعُ الكثيرةُ جِدّاً، رَداءةُ الطُرق، رَداءةُ المواصلات، رَداءةُ كُلِّ شيء، إنَّها دولةٌ خَربة ومُجتمعٌ فاسد وحُكومةٌ ضَالَّة ومرجعيَّةٌ دينيَّةٌ خَبيثةٌ وغَبيَّةٌ في الوقتِ نفسه، كُلُّ هـٰذا ويَحدُثُ أمامَ الأنظارِ شيءٌ عجيب، هـٰذه الأعدادُ الهائلةُ الَّتي لا تستطيعُ الحكوماتُ أن تُحركها، ولا يتمكَّنُ الإعلامُ مهما أوتي من قُدرة على التلاعُبِ بتفكيرِ النَّاس أن يفعلَ هـٰذا، ليسَ هُناكَ من عوامل تُشجِّعُ النَّاس، المعوقاتُ أكثر، ما الَّذي يُحرِكُ هـٰذه الجُموع؟ هُناكَ شيءٌ وراء ستارٍ مِنَ الغَيب، صَحيحٌ أنَّ إمامَ زماننا هُوَ الأوَّلُ والآخرُ في كُلِّ ما يجري، لكنَّ الأمورَ تجري بأسبابِها، فإنَّ الإمامَ يُحرِكُ هـٰذه الطاقة الحُسينيّة الَّتي هي المادَّةُ الأولىٰ والمادَّةُ الأساسيَّةُ في المشروع المَهدويّ الأعظم، وهـٰذا هُوَ جزءٌ واضحٌ من برنامج سيّد الشُّهداء تجييشُ العَواطف..
لقطاتٌ سريعةٌ من هـٰذه اللوحة العَظيمة الَّتي رَسمَها أبو الأحرار:
مرَّ علينا في الحلقاتِ الماضية ما قَرأتهُ عليكُم من دُعاء سيد الشُّهداء في يومِ عَرَفَة، إنَّها وَمضاتٌ خاطفة، هـٰكذا قالَ سيِّدُ الشُّهداء: **وَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِيقَةِ إِيمَانِي وَعَقْدِ عَزَمَاتِ يَقِينِي وَخَالِصِ صَرِيحِ تَوحِيدِي وَبَاطِنِ مَكنُونِ ضَمِيرِي** - ما بقي من كلامٍ فإنَّهُ يتحدَّثُ عن الجوارح: **وَعَلَائِقِ مَجَارِي نُورِ بَصَرِي وَأَسَارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي** - إلى آخرِ كَلماته الشريفة.
لَقطةٌ هُنا: "**وَأَسَارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي**"، الأساريرُ هي جمعُ لسُرّ، وليسَ لسِرّ، السِّرّ هُوَ الخط، هـٰذه الخُطوطُ الَّتي تظهرُ على الجبين هي الأسارير ومفردُها سُرّ..
ومضةٌ سريعةٌ: هـٰذا الجبينُ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ أبو عبد اللّه في دُعاء يومِ عرفة ضربوهُ بسهمٍ، نَبتَ سَهمٌ في جَبينِ الحُسَين يومَ عاشوراء، هُنا تتحدَّثُ جوارحُ الحُسَينِ توحيداً مُسلَّمةٌ لِما أرادَهُ اللّه، الحُسَينُ من وَلايته أنْ لا يكونَ الَّذي جرىٰ في أرضِ كربلاء، ولكنَّهُ كانَ مُسلِّماً للبرنامج المرسومِ من قِبَل اللّه سُبحانَهُ وتعالى، فالرسالةُ الَّتي وصلت منَ اللّه إلى الحُسَين تقولُ لَهُ: (وَاشْرِي نَفْسَكَ)، بِع نَفسَكَ في ساحة كربلاء، سَهمٌ نَبتَ في جبهة الحُسَين وحينَ استلَّهُ وأخرجهُ كُتُب المقاتل تَصفُ لنا الصورةَ: من أنَّ الدَّمَ فاضَ كالميزاب، وبعدَ ذٰلكَ أبو الحُتُوف لَعنةُ اللّه عليه صَكَّ جَبينَ الحُسَينِ بِحجرٍ كبيرٍ ضربَ الموطنَ الَّذي وَقعَ فيه ذٰلكَ السَّهمَ، وأخرجهُ الحُسَينُ من جَبينه، هـٰذه أساريرُ جَبينِ الحُسَينِ صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه الَّتي تُعلنُ توحيدَها، (**وَأَسَارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي**).

وحينما نُلقي نظرةً على مَذبح الحُسَين؛ والـمَذْبَحُ هُو الَّذي يكونُ تحتَ حَنَك الإنسان، الَّذي يُعبَّرُ عنهُ بالحلق، وحينما ذَبحوا الحُسَينَ ذَبحُوهُ من هُنا، لكن قبلَ أنْ يُذبَحَ بالسَّيف في اللحظات الأخيرة الحُصينُ بن نُمير لعنةُ اللّه عليه من أبناء السقيفة أيضاً، أصولُ هـؤلاء سَقيفةُ بني ساعدة إنَّها خلافَةُ أبي بكرٍ وعُمَر وعُثمان من هُناكَ تبدأ الحكايَة، ولذا فإنَّ سيدَ الشُّهداء قالَها في يوم الطُفوف: (من أنَّني سأقُولُ لجدِّي رَسُول اللّه قَتَلَني فُلانٌ وفُلان)، هـذا شرحٌ لِما قالَهُ إمامُنا الصَّادقُ نقلاً عن رسول اللّه صَلّى اللّهُ عليه وآله: (**إذا كُتبَ الكتَاب قُتلَ الحُسَين**)، الحُصينُ بنُ نُمير لعنةُ اللّه عليه من أبناء السقيفة وَجَّه سَهماً إلى نَحرِ الحُسَين حينما كانَ الحُسينُ جالساً على الرَّمل بعدَ أن سقطَ من على ظهرِ جواده. وفي نهاية الأمرِ جاءَ دَورُ شمر كَي يَذبحَ الحُسين بسيفه، فَشمر ذَبحَ الحُسَين من مَذبحه ثُمَّ قَطعَ رأسهُ من قفاه، لم يُفعَل هـذا بأحد عبرَ التأريخ، نَبيّنا الأعظمُ صلّى اللّهُ عليه وآله يقول: (من أنَّ الحُسَينَ سَيُقتَلُ قَتْلَةً مَا قُتلَ بِهَا أَحَدٌ من قَبله وَلا يُقتَلُ بِها أحدٌ من بَعده)، وهـذا هُو الَّذي جرىَ على أرض الواقع.

أمَّا مَنحر الحُسين؛ الحُسينُ ذُبحَ من الـمَذْبَح، والـمَذْبحُ هُو الحلق حيثُ تُقطَعُ الأوداج، ونَحرَ الحُسَين، والـمَنْحَرُ هُو النقطةُ الَّتي تلتقي الرقبةُ عندَها مع الصدر، سنانُ بنُ أنس وهُوَ أكثرُ الجمعِ كانَ إجراماً معَ الحُسَين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، طَعَنَ الحُسَينَ برمحه، نَحرَهُ في الـمَنْحَر، وبعدَ أن أدخلَ الرُّمحَ بكامله وأخرجهُ أخرجَ سَهماً وَوَجَّه سَهماً إلى نفس المكان الَّذي نَحرَهُ، فالحُسينُ نُحرَ برُمحٍ وبسَهم، والَّذي قامَ بذلكَ سَنانُ بنُ أنس.

وهـذا هو الَّذي نقرؤهُ في زيارة الناحية المقدَّسة: في الجزء الثَّامن والتسعين من (بحار الأنوار): **السَّلامُ عَلَى الْمَنْحُورِ فِي الوَرَى** - نَحروه - **السَّلامُ عَلَى الْمَقطُوع الوَتِين** - ذَبحوهُ، والوَتينُ هُو الشريانُ الكبير والَّذي قد يُعبَّرُ عنه طبيّاً بالشريان الأبهر، فالحُسَينُ نَحرَهُ سنانُ بنُ أنس برُمحٍ وسَهم..

وأمَّا صدرُ الحُسَين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه؛ فَلَقد وَجَّه إليهِ سِنَانُ بنُ أنس رُمحَهُ فَطعنَهُ في بواني صَدره، والمرادُ من بواني الصدر إنَّها الأضلاع، وحينما يأتي الرُّمحُ فإنَّهُ يخترقُها إلى جوف الصدر وهو تامورُ الصدر.

في دعاء يومِ عرفة: "**وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيه تَامُورُ صَدْرِي**"، هـذه هي الأعضاء الَّتي ذكرَها إمامُنا الحُسَينُ في دُعاء يوم عَرَفَة هيَ هيَ الَّتي جرىَ عليها ما جرى في يوم الطفوف، قد يُقالُ للقلبِ في لُغَة العرب التَّأمور أو التَّامُور، ولكنَّ التَّامُور تأتي بمعنى وعاء الصدر وهُوَ التجويفُ الصدري، وهـذا هو الَّذي يتحدَّثُ عنهُ هنا سيدُ الشُّهداء..

وطعنَهُ صالحُ بنُ وَهْب في خاصرته، وهـذه أكثرُ الطعنات إيلاماً، طعنهُ طَعْنَةً مَهُولةً في خاصرته، الحُسَينُ حينما قَطعَ شمرٌ رأسهُ الشريف قَطعَهُ والرُّوحُ في جسده، أصحابُ الحُسَين قُطعت رُؤوسُهم وقد فارقت أرواحُهم أجسادَهُم، الحُسينُ لم تَكُن الرُّوحُ قد فارقت جسدَهُ، وقبلَ ذلكَ ركضت الخُيولُ على صدره.

صاحبُ الأمر في زيارة الناحيَة المقدَّسة: "**حَتَّى نَكَّسُوكَ عَن جَوادك**"، كيفَ نَكَّسوهُ عن جواده؟ لَمَّا أخذَ الدَّمُ الحُسَين، لقد نَزفَ من جميع جهات بدنه، ولذا فإنَّنا نقرأُ في زيارة الناحية المقدَّسة: (**السَّلامُ عَلَى الْمُغْسَلِ بِدَم الجِرَاح** - الدَّمُ قد غَسَّلَهُ تَغسيلاً - **السَّلامُ عَلَى الْمُجَرَّعِ بِكَاسَات الرِّمَاح**)، الرماحُ من كُلِّ مكان، لَمَّا أخذَ الدَّمُ الحُسَين من جَبينه إلى كُلِّ جزء من أجزاء بدنه الشريف وَقفَ كي يستريحَ بعضَ الوقت وهُو على ظَهرِ جواده، نَكَّسُوهُ من جواده طَعَنُوهُ في خاصرته، هـذه طَعْنَةٌ غيرُ الطَّعنَة الَّتي أشرتُ إليها قبلَ قليل وهي طعنةُ صالح بن وهب، طَعَنُوهُ في خاصرته وأسقطوهُ عن الجواد وإلى هـذا يُشيرُ صاحبُ الأمر صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **حَتَّى نَكَّسُوكَ عَن جَوادك فَهَوَيْتَ إلَى الأَرْض جَرِيحاً** - كُنتَ حَيّاً - **تَطَؤكَ الخُيُولُ بِحَوَافِرِها وَتَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا** - والبَواتر هي السُّيوفُ الحادَّةُ القاطعة، إلى أن نادى عُمرُ بنُ سعد: أن أريحوه، أريحوا الرَّجُل، فبدرَ إليه شمر لعنةُ اللّه عليه فَرفَسهُ برجله هـكذا تُحدثنا كُتُب المقاتل، وبَصقَ في وَجهه، ثُمَّ أمسكَ بشيبته المقدَّسة وذَبحهُ من الحَلق، ولكنَّ كُتُب المقاتل تقول؛ من أنَّهُ ضَربَهُ اثنتي عشرة ضربة، ما المرادُ من ذلك؟ إنَّهُ كَسرَ رَقبَتهُ لأنَّ الرقبةَ لا تُقطَعُ بالسَّيف، هُناكَ طريقةٌ لقطع الرَّأس بالسَّيف من دُونِ أن تُكسَر الرَّقبة بهـذه الطريقة لكنَّهم إيذاناً في الإجرام وإعلاناً عن النَّصبِ والعَداء فَعلوا الَّذي فَعلوه، فَضَربَ الإمامَ على رَقبته من قَفاه من الخلف اثنتي عشرة ضربة حتَّى كَسرَ رَقبة الإمام، واحتزَّ رأسهُ الشريف.

إنَّها ومضاتٌ خاطفةٌ تُحد ثُنا عن شيء من أَوجَاعِ حُسينِ الَّتي تَرسمُ لنا معالمَ التوحيد العاشورائي الَّذي تَجلَّت صُورتهُ مرسُومةً بالمظلوميَّة وبالآلام الَّتي لا مَثيلَ لها على جَوارح الحُسَينِ بعدَ أن أشرقَتَ في جوانحه، وهُنا يتعانقُ التوحيدُ الجوانحي مع التوحيد الجوارحي..

حقيقةٌ لابُدَّ أن نعرفها ونحنُ نَتحدَّثُ في جنبات التوحيد الحُسيني:

المشروعُ العاشورائي هُو مَشروعٌ توحيديّ بتمام معنى هـذه الكلمة، كما أنَّ المشروعَ المهدويَّ الأعظم هُو مشروعُ التوحيد في أجلى صُوَره، فحقيقةُ التوحيد لا معنى لها إلَّا في دينِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، نَبيّنا الأعظمُ حينَ قَالَ لنا: (مَا إن تَمَسَّكتُم بِهِمَا - بالكتاب والعترة فَلَن - لن وهي للنَّفي التأبيدي - فَلَن تَضلُّوا بَعْدِي أَبداً)، إنَّهُ يتحدَّثُ عن التوحيد الـمُحَمَّديّ ، إنَّهُ يُوصينا بالتوحيد العَلَويّ، إنَّهُ يُوجِّهُ أنظارَنا إلى التوحيد الفَاطميّ، هـذا هُو توحيدُ أئمَّة الأئمَّة، أئمَّةُ الأئمَّة: "مُحَمَّدٌ وعليٌ وفَاطمَة"، والتوحيدُ توحيدهم ولا يوجد توحيدٌ في أيّة ديانة أخرى، هـذه ثقافةُ العترة الطاهرة..

الآيةُ الثَّالثةُ والعشرون بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة هود، وهي الآيةُ الأخيرة في السورة، الآيةُ تُمثِّلُ جذرَ التوحيد الثَّابت، أمّا ما يَتفرَّعُ عنها فإنَّهُ يكونُ مُتحركاً، نَحنُ في مرحلة التَّأويل ومرحلة التَّأويلِ بدأت مُنذُ بيعة الغدير، مرحلةُ التَّنزيل انتهت مُنذُ بيعة الغدير..

إنَّما يتكاملُ التَّأويلُ في أبهى صُورة لهُ في آخرِ عصرِ الرَّجعة العظيمة في الدَّولَة الـمُحَمَّديَّة العُظمى، الآيةُ تُمثِّلُ الجذرَ الثَّابتَ للتوحيد: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾، هـذا جذرُ التوحيد الثَّابتُ، وكُلٌّ تتواصلُ بصيرتهُ وعقلهُ وقلبهُ مع هـذه المضامين بحسبه، ما يتفرَّعُ على هـذا الجذر يكونُ مُتحركاً، و قد يَختلفُ باختلاف الأزمنة، هـذا إذا ما فَهمنا الدينَ وفقاً لثقافة العترة الطاهرة..

في سورة البقرة، الآيةُ الثَّلاثون بعدَ البسملة: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾، اللّهُ سُبحانَهُ وتعالى حينما قالَ هَذا الكلام للملائكة وكانَ إبليسُ من ضمن الَّذينَ خُوطبوا، هل كانوا مُوحِّدينَ أم لم يكونوا مُوحِّدين، ماذا تقولون؟ قطعاً كانَ الملائكةُ مُوحِّدينَ وكانَ إبليسُ مُوحِّداً أيضاً، الجميعُ كانوا على التوحيد، وهـذا هُو توحيدُهم الملائكةُ بيّنوه: ﴿**قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾، هـذا هُو توحيدُهم، هـذا توحيدٌ في هـذه المرحلة، ولكن حينما خلقَ اللّهُ أبانا آدم وأمَرَ الملائكة بالسُّجود فإنَّ التوحيدَ تغيَّر مفهومهُ، فإنَّ التوحيدَ يكونُ بالسُّجود لأبينا آدم، ولذا حينما رَفضَ إبليسُ ذلك وصفَهُ اللّهُ بأنَّهُ قد صارَ كافراً، قد خرجَ من التوحيد، رَفضَ أن يكونَ معَ التوحيد الجديد.

في الآية الرابعة والثلاثين بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ**﴾، وإبليسُ من بينهم، والخطابُ خطابٌ تغليبيٌّ لأنَّ إبليسَ ليسَ من الملائكة هُوَ من الجن بصريح القُرآن، والخطابُ مُوجَّهٌ لمليارات وتريليونات من الملائكة، وإبليسُ شخصٌ واحدٌ فالخطابُ خطابٌ تَغليبي.

-**اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ** - هـؤلاء انتقلوا إلى معنى التوحيد الجديد - **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾، صارَ كافراً بعدَ أن كانَ مُوحِّداً، لماذا؟ لأنَّهُ لم يتحرك مع مفهوم التوحيد المتحرك.

وهـٰذا المضمونُ أيضاً يتكرّرُ في سورة (ص)، الآيةُ الثالثةُ والسبعون بعدَ البسملة والّتي بعدَها: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾، الملائكةُ صَاروا مُوحِّدين متى؟ حينما سجدوا لأبينا آدم، كانوا مُوحِّدينَ قَبلَ السُجود في مرحلةِ ما كانوا يَسجُدونَ فيها إلَّا للّه، فجاءت مرحلةٌ جديدةٌ؛ "أنَّ السُجودَ لأبينا آدم"، والتوحيدُ هُو هـٰذا. ومن هُنا فإنَّ التوحيدَ ليسَ هُوَ اللّه، التوحيدُ تفعيلٌ، عمليّةٌ متحركة، تَفعيلٌ تَحريكٌ تجديدٌ، فَحينما سجدوا لأبينا آدم انتقلوا إلى مرحلةٍ جديدةٍ من مراحل التوحيد، إبليسُ لم يقبل بذٰلك كانَ مُوحِّداً لأنَّهُ لم يتفاعَل معَ الفَهمِ الجديدِ للتوحيد، فَوصفَهُ اللّهُ بأنَّهُ قد كَفَر، خَرجَ من التوحيد، التوحيدُ القديمُ انتهى نُسخ، نَحنُ مع توحيدٍ جديد، ولذا فإنَّ التوحيدَ في مرحلة التَّأويل هُوَ غيرُ التوحيدِ في مرحلة التَّنزيل.

ومن هُنا فإنَّ أئمَّتنا لم ينقُلُوا لنا تفسيرَ النَّبي للقُرآنِ في مرحلة التَّنزيل فإنَّ النَّبي قد فَسَّرَ القُرآنَ بكامله، لكنَّ الأئمَّة ما نقلوا لنا تفسيرَ النَّبي للقُرآنِ بكامله، لأنَّ مرحلة التَّنزيلِ قد نُسخت، في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن إمامنا الهادي صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (**مَنْ أَرَادَ اللّه بَدَأَ بِكُم**)، وليس بدأ باللّه، لأنَّ اللّهَ يُريدُ التوحيدَ في مرحلة التَّأويلِ بهـٰذا النحو - **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّه إِلَيكُم** - هـٰذا هو توحيدُ العترة الطاهرة والّذي يتنافَرُ مع توحيدِ مراجعِ النَّجف وكربلاء بدرجة مئة بالمئة لأنَّ توحيدَهُم توحيدُ المعتزلة وما هُو بتوحيد العترة الطاهرة..

في سورة الأعراف؛ القُرآنُ يُحذّرنا، الآيةُ السابعةُ والعشرون بعدَ البسملة: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ** - الخطابُ لنا - **لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا**﴾، إلى آخرِ ما جاء في الآية، مُشكلَتُنا في ديننا هي هـٰذه؛ الشَّيطانُ يريدُ منَّا أنَ نكونَ على دينهِ على توحيده، نواصبُ سقيفة بني ساعدة يُريدونَ منَّا أن نكونَ على توحيد مرحلة التَّنزيل، ويا لَيتها بَقيت لقد حرّفُوها، أمَّا مراجعُ النَّجف وكربلاء فَهُم في حيرة من أمرِهم يُقَدمونَ قدماً إلى مرحلة التَّأويل ثُمّ يجرونها فيعودونَ أدراجَهُم إلى مرحلة التَّنزيل، لا هُم على دينِ سقيفةِ بني ساعدة بشكلٍ كامل، ولا هُم ذَهبوا وراء أئمَّتهم، صنعَ لهم الشَّيطانُ ديناً غريباً ديناً مسْخاً..

فَي سورة الفتح؛ الآيةُ الرابعةُ بعدَ البسملة والآيةُ الَّتي بعدها: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** - هـٰذا في مرحلة التَّنزيل في زمان النَّبيّ صلَّى اللّهُ عليه وآله - **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً**﴾، حديثٌ عن المؤمنينَ زمانَ النَّبي، زمانَ مرحلة التَّنزيل وكُلُّ هـٰذا المديح..

ثُمّ تَقولُ الآيةُ العاشرةُ بعدَ البسملة من السورة نَفسها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾.

إلى أن تقولَ الآيةُ الثامنةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من السورة نَفسها: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾، إلى كثيرٍ من الآيات الَّتي لسانُها هـٰذا اللِّسان من أنَّهُم مُوحِّدونَ، من أنَّهم مُؤمنونَ.

في سورة المائدة، الآيةُ السابعةُ والستين بعدَ البسملة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه**﴾، تَغيّرَ مَفهومُ التوحيد، فهـٰذا التوحيدُ الَّذي تحدَّثت عَنهُ سورةُ الفتح ومَدحَت أصحابَهُ بكُلِّ ذٰلكَ المديح ها هُوَ المفهومُ يتغيّر بالضَّبط كحال الملائكة، فَكُلُّ المفاهيمِ لا قيمةَ لها إلَّا وفقاً للفهمِ الجديد للتوحيد - **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، كحالِ إبليس، هـٰؤلاء الَّذينَ لم يُؤمنوا بالدينِ في المرحلةِ التَّأويليّةِ هـٰؤلاء كُفَّارٌ كحال إبليس مع أنَّهُم يُؤمنونَ بما كانَ عليهِ الدينُ في مرحلة التَّنزيل.

الآيةُ الثالثةُ بعدَ البسملة من سورة المائدة: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من دِينِكُمْ** - كَفروا بماذا؟ كفروا ببيعة الغدير - **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، أكانَ المسلمونَ على دينٍ قبلَ بيعة الغديرِ أم لم يكونوا؟ كانوا على دينٍ وكانَ ديناً مَقْبُولاً، لكنَّ مفهومَ التوحيدِ تَغيَّر، حكايةُ الملائكةِ وإبليس وأبينا آدم هِيَ هِيَ، تلكَ الحكايةُ تشرحُ الحقيقةَ الكاملةَ لدينِ اللّه على وجه الأرض.

﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ** - الَّذينَ كفروا ببيعة الغَدير - **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾، أَلم يكونوا على الإسلامِ قبلَ بيعة الغدير؟ كانوا على الإسلامِ قبلَ بيعة الغدير، ولكن بعدَ بيعة الغَدير تَغيّر مَفهومُ الإسلام، وإنَّما تَغيّر مفهوم الإسلام لأنَّ مفهومَ التوحيد قد تَغيّر، فالدينُ مبنيٌ على كَلمة (لَا إِلَه إِلَّا اللّه)..

في الآية السابعة والخمسين بعدَ المئتين بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** - إنَّها ظُلُماتُ الجَهْل، إنَّها ظُلُماتُ الشِّرك، هـٰذا الكَلامُ واضح - **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ** - هل هُم الَّذينَ كَفروا الَّذينَ كانوا يعتقدونَ بالأصنامِ مَثلاً يَعبدُونَ الأَصنام؟! - **أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾، إمامُنا الصَّادقُ يقول: وَأيُّ نُورٍ للكافرِ حتَّى يَخرجَ منه إلى الظُّلُمات، هـٰذا نُورُ مَرحلة التَّنزيل، فحينما رَفضوا مرحلة التَّأويل ما بعدَ بيعة الغدير فَخرجوا من النُّور إلى الظُّلُمات، من نُورِ مرحلة التَّنزيل إلى ظُلُماتِ مرحلة الكُفرِ بالتَّأويل، (سَتُقَاتلُهم عَلَى التَّأويل)..

فالتوحيدُ في مرحلة التَّنزيلِ لهُ خصائصُهُ، لكنَّهُ مفهومٌ مُتحرِّكٌ، هُناكَ جَذرٌ ثابتٌ بَينتُهُ لَكُم، ولكنَّ التوحيدَ على مظاهر، مظاهرُ التوحيد تتحركُ تختلفُ، التوحيدُ في زمانِنا في زمان الغَيبة مَظهرهُ إنَّما يَتجدَّدُ في تَوجّهنا إلى إمامِ زماننا: (**أَينَ وَجْهُ اللّه الَّذي إِلَيه يَتَوجَّهُ الأَوْلياء**).

في الآية الثَّامنة والخمسين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة الأنعام إنَّهُ قانونُ الغَيبة والظُهور المظهر الأجلى من مظاهر التوحيد في زماننا: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ**﴾، إنَّه التوحيدُ في زمان الغَيبة عبر معرفة إمامِ زماننا وعبر العملِ للتمهيد لمشروعه العظيم، مثلما حدَّثتكُم عن التوحيد الجوانحي والتوحيد الجوارحي، فما كانَ في عاشوراء من أصحاب الحُسين هذا هُو توحيدُهم، والحُسينُ أُسوةٌ لنا، توحيدُنا في زماننا أن نَعرفَ إمامَ زماننا وأن نعملَ في خدمته، مثلما قالَ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه وهُو يرسمُ لنا برنامج التوحيد: (**لَو أدركتُ القَائمَ لَخدمتُهُ أيَّامَ حَيَاتي**)، خدمةُ قائمِ آل مُحمَّد هُو التوحيدُ بعينه ولا يوجدُ توحيدٌ آخر، ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾..

في الجزء الأوَّل من (تفسير البرهان)، جامعٌ من جوامع أحاديثنا التفسيريَّة، لهاشم البحراني، طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الَّتي تتألَّفُ من ثماني مُجلَّدات، الصفحة السابعة والخمسين، الحديثُ الحادي عشر: **عَنِ إِمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: نَحنُ أَصْلُ كُلِّ بِرّ** - هُم أصلُ الأُصول - **وَمَن فُرُوعنا** - من فُروعهم - **وَمن فُرُوعنَا كُلُّ بِرّ، وَمنَ البِر** - من البِرِ المتفرعِ عَنهُم - **التَّوحيدُ وَالصَّلاةُ وَالصِّيَامُ** - إلى آخرِ ما جاء في الحديث الشريف، فالتوحيدُ فرعٌ من فُروعِ بِرهم، ألا تُلاحظونَ أنَّ المنطقَ واحدٌ؟ ما ينطقُ به القُرآن هُوَ هُوَ الَّذي تنطقُ به العترةُ الطاهرة..

الفروعُ متحركةٌ الفُروعُ ليست ثابتةً، الأصولُ ثابتةٌ، ومن هُنا فإنَّ التوحيدَ فكرةٌ عن اللّه نأخُذُها عن المعصُومِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه..

في (علل الشرائع)، للصّدوق المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة، الجزء الأوَّل، البابُ التاسع عنوانه:"علَّةُ خَلْق الخَلْق واختلاف أحوالهم"، الحديثُ الأوَّل: **بِسنده، عَن إِمَامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْحَابِه** - نَحنُ نتحدَّثُ هُنا عن التوحيد الحُسَيني هـٰذا هُو التوحيدُ الحسيني - **فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاس** - هـٰذا بيانٌ للجميع لِي ولَكُم وللآخرين -**إِنَّ اللّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوه** - هـٰذه علَّةُ خَلقنا قطعاً في جهةٍ من جهاتها، حكمةُ اللّه

واسعةٌ لا نُحيطُ بِها، والأئِمَّةُ يُبَيِّنونَ لنا ما يُبَيَنون بِحسَبِ مَداركنا - **فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوه، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغنَوا بِعِبَادَته عَن عِبَادَة مَن سِوَاه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُول اللّه، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَمَا مَعرِفَةُ اللّه؟** - المدارُ كُلُّهُ حولَ مَعرِفة اللّه، ومعرفةُ اللّه توحيدهُ - **قَال: مَعْرِفَةُ أَهْل كُلِّ زَمَانٍ إِمَامُهُم الَّذي يَجِبُ عَلَيهِم طَاعَتُه** - هـٰذا هُوَ التوحيد، خُلاصةُ الكلام هي هـٰذه، فهـٰذا هُو التوحيدُ الحُسينيّ الأصيل، ما تَعرفونَهُ مِن توحيدٍ إنَّهُ توحيدُ المعتزلة، هنيئاً لَي بهـٰذا التوحيد وللَّذينَ يُوحِّدونَ اللّهَ بِهـٰذا التوحيد، وهَنيئاً لَكُم يا أَتباعَ المراجع بتوحيد المعتزلة النَّواصِب.

ما حدَّثتكم عنهُ يُمَثِّلُ صُورةً تقريبيّةً للجزء الأوَّل مِن المشروعِ العاشورائيّ..

ما يرتبطُ بأنَّ زيارة الأربعين عُنوانٌ للجزء الثاني مِن المشروع العاشورائي يُمكننا أن نتلمَّسَ شيئاً مِن آثارِ هـٰذا في بعضِ كلماتِ عَقيلَةِ بَني هاشِم فَهي سيِّدةُ الموقف في الجزء الثاني من المشروعِ العاشورائي الحُسينيّ:

في (كامل الزيارات) لابن قولويه، المتوفّى سنة (٣٦٨) للهجرة، طبعةُ مكتبة الصّدوق/ طهران - إيران/ الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئتين من حَديثٍ طويل، إنَّهُ اليومُ الحادي عشر حينما تَوجَّهت القافلةُ الحُسينيّةُ الحزينةُ من أرض كربلاء باتِّجاه الكوفة، ممَّا قالتهُ العَقيلةُ وهي تتحدَّثُ معَ إمامنا السجَّادَ صلواتُ اللّه عليه وعليها: **أَنَّهُم يَجْمَعُونَ هَـٰذه الأَعْضَاءَ الْمُتَفرقَة** - الَّذينَ سيأتُونَ ويُساعدونَ الإمامَ السجّادَ في دَفنِ الأجساد الطاهرة - **فَيُوَارُونَهَا وَهَـٰذه الجُسُومَ الْمُضَرَّجَة** - وماذا بعد؟ هـٰذه بِدايةُ الحركة الفاعلة في نشاطات الحاضنة الحُسينيّة.

وماذا بعد حينما تأتي الأجيالُ بعدَ الأجيال؛ **وَيَنصُبُونَ لهـٰذا الطَّفِّ عَلَماً لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّد الشُّهَدَاء لَا يَدْرُسُ أَثَرُه** - وكيفَ يَدْرُسُ أثَرُهُ، "لَا يَدْرُسُ أَثَرُه"؛ يُقالُ هـٰذا قَبرٌ دَارِس، هُوَ القَبرُ الَّذي طحنتهُ السِّنُون فما بقي منهُ شيء، ولا يعرفُ أحدٌ عن خبره - **وَلَا يَعْفُو رَسْمُهُ عَلَىٰ كُرُور اللَّيَالِي وَالأَيَّام** - قُرونٌ بعدَها قُرون - **وَلَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَأَشْيَاعُ الضَّلَالَة فِي مَحْوِهِ وَتَطمِيسِه** - لقد مَرُّوا وزَالُوا وذَهبُوا، أينَ الأمويّون وأينَ العبَّاسيّون وأينَ وأينَ وأينَ؟! لقد مَرَّت الأجيالُ بعدَ الأجيال..

-**فَلا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّاً** - وهـٰذه الحقيقةُ نَحنُ عايشناها معَ البَعثيّين، عايشناها معَ الـمُجرمينَ الصَّداميّين، تَناثَروا ولم يَبقَ إلَّا الحُسَين، الـمحبُّونَ ستُطوى صفحتُهم، والأعداءُ ستُطوى صفحتُهم وتبقى صفحةُ الحُسَينِ مُشرِقةً زاهيةً.

ها هي كلماتُ العَقيلة تَصكُّ مَسامعَ الطُّغاة:

في الجزء الخامس والأربعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، المتوفّى سنة (١١١٠) للهجرة، طبعةُ دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان/ الصفحة الخامسة والثلاثين بعدَ المئة: **فَكِد كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَك** - هَا هُوَ الصّوتُ العَلَويّ يَزأرُ في بِلاطِ ابنِ آكلة الأكباد في مَحضَرِ سُلطان العهْرِ والنَّجاسَة والإجرام، ها هي العَقيلةُ تقولُها ليزيد، وأينَ يزيدُ؟! - **وَنَاصب جُهْدَك فَوَاللّه لَا تَمْحُو ذكْرَنا وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنا وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عَارَهَا، وَهَل رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدْ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدْ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد** - ابحثُوا عن مَضمونِ هـٰذه الكَلِمَات عبرَ التَأريخ ستجدُونَ مِن أنَّ الكلمات هـٰذه بَقيت صادقةً عبرَ القُرون منذُ أن نَطقتها بِنتُ فَاطِمَة وإلى يومنا هـٰذا..

فأينَ يزيدُ وأينَ زَينَبُ وأينَ آلُ مُحَمَّد وأينَ هـٰذه المضامين؟

وها هِي القُلُوبُ الصَّادقةُ والقُلُوبُ النَّظيفةُ وها هي الألسنةُ تلهجُ في لَيلها ونَهارِها:

يَا حُسَينِ يَا حُسَين يَا حُسَين يَا أَبَا عَبد اللّه أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسمَعُ كَلامِي وَتَرُدُّ سَلامِي وَتَشهدُ مَقَامِي لا يَحولُ فِيما بَينِي وبَينَكَ التَّضارِيس، إنَّكَ يا أبا عَبد اللّه لَتَسْمعُ كَلامِي وحقِّ جبينِ رَسول اللّه إنَّكَ لَتَسمعُ كَلامِي.

السَّلامُ عَلَى الْمُغَسَّلِ بِدَمِ الجِراح، السَّلامُ عَلَى الْمُجرّعِ بِكَاسَات الرماح..

السَّلامُ عَلَى الْمَنْحُورِ فِي الوَرَى، السَّلامُ عَلَى مَن دَفَنهُ أَهْلُ القُرَى..

السَّلامُ عَلَى الْمَقْطُوعِ الوَتِين، السَّلامُ عَلَى الْمُحَامِي بِلا مُعِين..

السَّلامُ السَّلامُ السَّلامُ..

وإنَّكَ لَأَنْتَ السَّلامُ فِي الدُّنيا والآخِرةِ يا سَيِّدَ السَّلامُ..